الفصل الحادي عشر

أمثلة أخرى

مؤسسة الزفاف الملكى

وحتى يرى القارئ أن هذه الطريقة تصلح لتربية صبيان الشعب في كل زمان وفي كل مكان ، ذلك لأن الطبيعة الانسانية تستجيب بطريقة ثابتة لبعض الدوافع ، والصبيان يتفقون في الأساس الذي تنبني عليه طباعهم في جميع بقاع العالم . لكي يرى القارئ أن في هذا شيئاً من الصحة والصواب نترك هذا النادي وصبيانه لنذكر بعض الحوادث التي شاهدها الكاتب ولمسها وكان له شأن فيها في معهد آخر .

مؤسسة الزفاف الملكي منشأة أقامها الشاذلي باشا أيام كان محافظاً للقاهرة ، وهي الآن تتبع محافظة القاهرة ووزارة الشئون الاجتماعية ، ولها مجلس إدارة كان كاتب هذه السطور عضواً فيه ، يعمل فيه بصفته إخصائياً في التربية وشئون الأطفال ، ويطبق على الصبيان في المؤسسة قواعد التربية الحديثة تحت إشراف مجلس إدارتها .

وتضم المؤسسة مائة وعشرين صبياً . كلهم ممن قبض عليهم البوليس للتشرد والسرقات والتعدي على الناس والممتلكات ، قبض عليهم البوليس وأودعتهم المؤسسة حيث يأكلون ويشربون وينامون ويلعبون ويتعلمون في مدرسة خاصة بهم فيها أو يعملون بالاجور فيها وفي المصانع التي تحيط بها ، بابها مفتوح يخرج منها الصبي في أي وقت يشاء إن أراد ، ويغادرها إذا لم يرقه المكوث فيها دون أن يمنعه أحد أو يقف في طريقه أحد ، وتركها

ركة من مرتادي المسجد والزوايا جميع الفواتح موضوعة . وفوقها
ناية الصبيان أنفسهم ويحافظون عليها . يتناوبون من ثلاثة إلى
ما ثلثها

هذا كثير من الفوائد والفوائد تنشر بين كثير من تنشئة الصبيان
ي فضائل الرجولة والولاء للدولة وتنمية الشعور والاتجاهات التي ينتمي
ليها الفرد . ولا يهمنا في هذا المجال تفصيل هذه الفوائد وإنما يهمنا منها
ون واحد وهو بعد الإشارة الصبيان وبرأيهم وهو افتقاد وهو أن كل
صبي يعمل بالأجر ويريد أجره عن قدر معين من القروش في الأسبوع
يدفع للمؤسسة نصف ما يتكسب في نظير أكله ويستمر على هذا الوضع إلى
أن يعادل هذا النصف قيمة ما يصرف على أكل الفرد . ثم لا يتعدى ما يدفعه
هذه القيمة . أما باقي أجره ينقسم إلى نصفين أيضاً . نصفه يودع باسم الصبي
في بنك مصر حتى إذا خرج من المؤسسة يكون قد بعض رأس المال .
والنصف الباقي يحتفظ به لمصروفه الخاص .

ونحرص في كل هذا على أن لا نتدخل في شئون الصبي . فهو الذي
يقبض أجره من المصنع بنفسه وهو الذي يسدد بيديه نصف أجره
خزينة المؤسسة للأكل والربع للتوفير . نترك هذا للصبيان عالمين أن فيه
مجالا لتلاعب أي صبي يريد أن يتلاعب . ولكننا نفهم أيضاً أن هذا
التلاعب إذا تم سيكشف من تلقاء نفسه على الأغلب . وعلى كل حال
نحرص في أن لا نتجسس على الصبي أو نشعره بعدم ثقتنا فيه دون ما
يدعو إلى ذلك . خير للأخلاق في المؤسسة أن يفجو واحد يتلاعب بها
من أن نفقد ثقة جميع الصبيان بنا . وقد انتقدنا في هذا كثيراً ، وقيل
لنا أنه يجب علينا أن نقبض أجور الأطفال من المصانع بأنفسنا حتى لا
يتلاعب بنا صبي . ولكننا نرى الحكمة في هذا النقد فلم نأخذ به
للأسباب المتقدمة .

— ١ —

وحدث أن زاد أجر صبي من الصبيان خمسة قروش في الأسبوع وأمسك هذا الصبي عن أن يخبرنا به ، واستنفد بالخمسة قروش مصروفه الخاص ، ولكن تشاء الصدف أن تكشفه لنا . ذلك إنه من عادة الرواد في المؤسسة أن يزوروا المصانع التي يعمل فيها أولادنا بين الحين والحين للتحقيق من أنهم يقومون بواجباتهم خير قيام وأن أصحاب المصانع راضون عنهم . وعندما ذهب الرائد إلى مصنع الصبي قال لصاحب المصنع إنه مسرور جداً من عمل الصبي وقد زاد خمسة قروش في الأسبوع لأنه راض عنه

عاد الرائد بهذا دون أن يفتح فاه بشيء لا للرجل ولا للصبي (وهو لم يحضر الحديث بالطبع) وكأن شيئاً من هذا لم يكن . ثم أتى بالمشكل في اجتماع الرواد الأسبوعي فبحثناه من كل وجوهه واستنبطنا خطة للعمل نبين مما حدث بعد ذلك واتفقنا على أن ندعو كل من يعمل بالأجور من الصبيان إلى اجتماع عام وحددنا لذلك موعداً .

وفي الاجتماع وقف الكاتب وقال للصبيان :

كلنا يحب المؤسسة ويذود عنها بما يملك . وكلنا له من الولاء لها ما يمنعه عن أن يأتي بما يشينها بحال من الأحوال . وتعلمون أن للمؤسسة اعداء في الخارج يقولون عنا الأقاويل الكثيرة . ويزعمون اننا اناس لا نستحق عناية أو خيراً ، وبالطبع يدفع الأفندية عنها كل التهم ويردون بأن أهل المؤسسة من رجال وصبيان قوم أشراف يحافظون على كرامتهم ولا يعرضون سمعتهم أو شرفهم لما يشين . وتدفعون انتم عنا التهم أيضاً بالقول والعمل فلا تسمحون لأحد أن يقول فينا ما لا يليق . ثم لا يعملون عملاً يجلب عليها ما يهين .

ولكن بالأسف انقلب واحد منكم عليكم وانضم لاعدائكم وسلحهم

بما يستطيعون مهاجمة المؤسسة به . قدم أحدكم البرهان لأعداء المؤسسة على أننا جماعة لا شرف لنا ولا رجولة، ذلك أن أحدكم زاد أجره الأسبوعي خمسة قروش فكتم هذا عن المؤسسة خوفاً من أن تقاسمه هذا المبلغ وهو يريد ان يحتفظ به كله لنفسه.

ولهذا السبب ، وخوفاً من أن يشيع هذا التصرف فيضر بسمعة معهدنا اتفق الرواد على اقتراح يريدون طرحه أمامكم للموافقة عليه ، والاقتراح هو — «من الآن فصاعداً لا يدفع أي فرد منكم مليماً واحداً في نظير أكله ، بل استبقوا أجركم لأنفسكم وتصرفوا فيها بما يحلو لكم » ثم جلس وترك الاجتماع لرئيسه لادارة المناقشة وتقرير ما يريده الصبيان .

الرئيس — سمعتم ما ألقى عليكم الآن ، وأمامكم اقتراح باعفاء الأعضاء مما يدفعون فى نظير أكلهم فما رأيكم.

صبي — لا نقبل هذا الاقتراح .

صبي — هذه المؤسسة هي بيتنا ودارنا ولا بد أن ندفع لها ما نستطيع دفعه فى نظير أكلنا.

صبي — لقد عملت منا المؤسسة رجالا نعمل ونتكسب فلا بد أن نعينها ببعض ما نتكسب .

صبي — نحن رجال ولا نريد أن نطعم مجانا ، يجب أن نطعم أنفسنا بما ندفع .

صبي — ندفع كل أجورنا فى نظير الأكل.

الرئيس — نحب أن نسمع رأى من يوافق على الاقتراح (سكوت) إذن الموافق على الاقتراح يقف (لم يقف ولا واحد) المعارض للاقتراح يقف (وقف الجميع)

الرئيس — (للكاتب رافضا اقتراح الزوجة)

الكاتب — إذا كان الأمر كذلك فسنقبل قرار رحيلكم ، وإنما نحب أن نعيدوا توزيع الأجور بما يرضيكم ، وما أسرعنا ما تدخلون في نظام الأكل ، وما نسبة ما تربحون وما تتصرفون فيه .

الرئيس — نناقشكم في هذا .

لا داعي لذكر ما دار من المناقشة في هذا الباب إذ يمكن تلخيصها في أن الصبيان أبقوا النصف الذي يدفع للمؤسسة في نظير الأكل على حاله ، وأما النصف الآخر فقد قرروا أنه إذا لم يزد على ثلاثة قروش في الأسبوع يعطى كله للصبي مصروفا له أما إذا وصل النصف الباقي إلى خمسة قروش في الأسبوع فنصفه يوضع في صندوق التوفير ونصفه يبقى للصبي يتصرف فيه كما يشاء .

بعد اتخاذ هذا القرار رفع صبي يده للرئيس مستأذنا بالكلام .

الرئيس — تفضل .

الصبي — الآن نريد أن نعرف اسم هذا الخائن .

صبي — نريد أن نطرده من المؤسسة .

صبي — اعطونا اسمه .

الرئيس — (للكاتب) ما اسم هذا الشخص .

الكاتب — نحن لا يهمنا اسمه ، ولا نريد أن نذكره أمامكم ، ويكفينا أننا وجدنا روحكم عالية وولاءكم لمعهدكم كبير ، ونظن أنه يكفي هذا الصبي ما ناله من عدم رضاكم عن تصرفه وشعوركم لما عمل .

ثم انفض الاجتماع .

في ثاني يوم هذا الاجتماع دخل الصبي الى مكتب المؤسسة وقال لمراقبه انه آسف لتصرفه هذا ، فقد تبين له أنه لا يليق بعضو في المؤسسة . ثم خرج وعندما قبض أجره في نهاية الأسبوع استقطع من مصروفه بعضه ، ودفعه للمؤسسة واستمر يفعل هذا كل أسبوع الى أن رد كل ما اختلسه منها في المدة الماضية .

(٢)

ولا يظن القارئ أن اجتماعات الرواد فيما بينهم تسير دون معارضة أو نقاش حاد ، يدفع كل منهم عن رأيه بكل حرية ، ويدعمه بالبراهين المنطقية والتربوية . ولا ينسين أنهم يختلفون على حل كثير من المشاكل ، ولكن الشيء الوحيد الذي يرمون اليه من جميع خلافاتهم ونقاشهم إنما هو فائدة الصبيان الذين يقومون على تربيتهم دون اعتبار آخر ، وقد عرضت لنا مشكلة في أحد هذه الاجتماعات : اتفقنا على المقامرة فيها بسمعتنا عند من لا يفهمون ما نعمل ، والمقامرة بسوء الفهم والقصد من بعض الناس ، واتفقنا على أن لا نطلع عليها أحدا إلا أعضاء مجلس إدارة المؤسسة فهم المسيطرون عليها ، وعليهم تلقى مسئوليتها ، واتفقنا على أن نكتمه عن باقي الناس ، ومهما أن الحادثة قد مضى عليها وقت طويل ويصح اذاعتها دون ضرر يعود منها على الصبيان فلا مانع من ذكرها هنا .

كان أحد الرواد عن بالمؤسسة فوجد بعض الصبيان يقوارون في ركن منها ويلعبون الورق ويقامرون ، فتسرع وجمع منهم الورق وأحضره للرواد في أحد اجتماعاتهم وقص عليهم ما رأى ، فاتفقنا فيما بيننا على أن الورق ليس السبب في مقامرتهم وانما حب المقامرة هو السبب في وجود الورق في المؤسسة .

وعلى هذا قررنا أن نرجع الورق لهم يفعلون به ما يشاؤون إلى أن ندرس الموضوع ونجد حلا للاشكال .

وكانت المسألة من الأهمية عندهم بحيث تشعبت فيها الآراء واحتدمت المناقشة .

يقول بعضهم أن القمار حرام، وضد الأديان، ويجب أن نردع الصبيان عنه بأي ثمن ، ويجب أن يضع الرواد قانوناً يحرمه تحريماً ، ماذا يقول الناس عنا لو سمعوا بهذا ، أنهم يظنون أن رواد هذه المؤسسة قوم لا أخلاق لهم ، فاقضوا على هذا في الحال .

ويقول بعضهم كل هذا حسن ونوافق عليه انما لا نتصرف بعامل الخوف من الناس لئلا نغفل مصلحة الصبيان النفسية أو نتبع قواعد تربوية غير سليمة ، ودارت المناقشة على هذا الأساس وبهذا الوضع .

رائد — نعرض المشاكل على الصبيان في اجتماع عام .

آخر — لا لا لا — هذا عيب — انسألهم اتريدون أن يلعبوا القمار أم لا

آخر — نسألهم هذا السؤال بالذات .

آخر — وماذا يقول الناس عنا .

الرئيس — لا دخل لما يقوله الناس عنا ، كل ما نريد الوصول اليه ما يفيد الصبيان في أخلاقهم بغض النظر عما يقوله الناس ، فتكلموا في فائدة الصبيان دون غيرها .

رائد — لا — نمنع هذا بقانون يصدر منا والسلام .

آخر — قانون يصدر منا لا يهتم له الصبيان كقانون يصدر منهم هم ويسهرون هم على تنفيذه .

آخر — هل نضمن أن يصدروا قانوناً يمنع المقامرة في المؤسسة .

آخر — ربما يقررون القمار من ضمن ألعاب المؤسسة ونشاطها ،

ماذا نعمل فى هـذه الحالة ، أسلم شىء لنا أن نصدر نحن القرار ونفرغ من الموضوع .

آخر — الأرجح الأغلب أن أعضاء المؤسسة مجتمعين سيرفضون القمار ويضعون العقوبات للمخالفين وينفذونها بدقة .

آخر — ولكن ماذا نصنع إذا ما لم يفعل الصبيان ما نظن انهم فاعلوه على الأغلب الأرجح ، ماذا نعمل اذا عن لهم أن يخلفوا ظنونك ، ثم لاتنسى أن الناس سوف ينتقدوننا مر الانتقاد متى سمعوا انا استفتينا الصبيان فى لعب القمار .

الرئيس — قلت لكم اتركوا ما يقوله الناس وشأنه ليس هذا من عملنا ولا يهمنا .

رائد — لنفرض أنهم قرروا لعب القمار فماذا نفعل .

آخر — يجب أن نوضع المسألة أمامهم بهذا الشكل — نقول لهم تعلمون أن لهذه المؤسسة حكومة من الصبيان تضع القوانين وتسيرها بها ، وأننا نحن موظفون مستقلون ، ولكننا خاضعون لدستور تضعه لنا لجنة المؤسسة الكبرى هذه اللجنة تضع لنا الحدود العامة أو الدستور الذى نسير بمقتضاه ومنه تستمد حكومتكم السلطة الادارية لتسير الأمور فى المؤسسة .

ثم نضع أمامهم الأمور ونقول لهم أن بعض الصبيان يريدون إدخال القمار فى نشاط المؤسسة فاذا وافقتم على هذا ولم تكن لدي لجنة المؤسسة موانع ندخل القمار من ضمن النشاط .

آخر — هل ندخل القمار حقاً .

آخر — إذا لم يكن عند الأطفال مانع فلا بد أن توجد لدي اللجنة موانع

آخر — وهل يجرأ أحد على عرض مثل هذا الطلب على اللجنة .

الرئيس — عرض الأمر على اللجنة ممكن وجائز ، ونحن نعرف مقدماً رأيها ، وليس الغرض من العرض معرفة رأيها ، وإنما القصد منه اطلاعها على ما تم فى الموضوع وشرح القواعد التربوية التي بنينا عليها تصرفنا هذا ، والأسباب التى تدفعنا إلى هذه الطريقة ، ومنها اشراك الصبيان معنا فى التفكير وتعويدهم على الشعور بالمسئوليات ، وأن الجماعات تتصل ببعضها فليست واحدة منها حرة كل الحرية وإنما لكل منها حدود فى معاملاتها مع الجماعات الأخري .

رائد — ولكن ما العمل إذا رضوا بدخول القهار .

آخر — نقول لهم اننا سنعرض الأمر على اللجنة فاذا وافقت كان لهم تنفيذ القرار .

آخر — هذه مجازفة — فان النتيجة واضحة ظاهرة فلن يكون قهار فى المؤسسة بعد هذا سواء أصدر القرار من الصبيان أو من اللجنة .

آخر — ونتمنى على الله أن يصدر القانون من الصبيان لأنه فى هذه الحالة مضمون التنفيذ إذ يسهر على تنفيذه مائة وعشرون صبياً ، وتسهر على تنفيذها جماعاتهم وحكوماتهم وموظفيها ، وبالاختصار تصبح كل الضمانات متوافرة للتنفيذ .

وبعد نقاش طويل من هذا النوع ، وحوار كنت ترى من أسبابه الخوف من الرأي العام ، والناس خارج المؤسسة برغم ما كان ينبه عليه الرئيس ، اتفقت الجماعة على هذه المغامرة ، ثم اتفقت على أن لا يتحدث بها أفرادها في خارج المؤسسة خوفاً من أن يسيء الناس فهمهم وقهم ما يعملون .

اجتمع الصبيان كلهم وعرض عليهم الرائد الأول هذا الرأى ، فقال لهم أن بعض صبيان المؤسسة يرغبون في إدخال القمار ضمن نشاطها ، ورجاهم أن يتناقشوا بحرية ويتخذوا القرار الذى يروقهم ، فينفذ إذا لم يقم في سبيله مانع يمنعنا من تنفيذه .

ولا يزعم الكاتب أن يسجل هنا مناقشات الصبيان وإنما يكتفي بأن يقول أن ما يقرب من العشرة منهم صوتوا في جانب القمار والمائة الآخرون صوتوا ضده . وكان القائلون بإدخاله يطلبون ذلك لأنه مسل مثير ولأن لا ضرر مادي يعود منه فهم يلعبون بالملاليم ، وكان المعارضون من الصبيان يقولون أنه حرام وضد الدين والأخلاق ومفسد لسمعة المؤسسة ومضيعة للكسب الحلال ، ثم إن أوجه النشاط كثيرة في المؤسسة ويمكن زيادتها بأوجه أخرى غير القمار .

كل هذا والرواد جالسون لا ينبسون ببنت شفة كأن المسألة لا تعنيهم .

وقضى على نزعة القمار في المؤسسة من شهر يونيو سنة ١٩٤١

— ٣ —

وحادثة أخرى شبيهة بهذه كان الرواد فيها أيضاً يخشون أن يتركوا المسألة فيها للصبيان يقررون ما يشاءون خوفاً من أن يأتي قرارهم منافياً للعرف والعادات وما تواضع عليه الناس من التصرفات التى تليق بالصبيان .

ولكنهم تشجعوا بعد اختبارهم في حادثة لعب القمار وزالت عنهم بعض الشكوك التي كانت تساورهم في أن الصبيان إذا تركوا لأنفسهم قد يختارون ما يتطلبه العرف والعادات القويمة .

قلنا فيما سبق أن معظم صبيان المؤسسة ممن قبض عليهم البوليس لمخالفات وجرائم صغيرة أرتكبوها ، فهم بحكم حالة البيئة التي كانوا فيها معرضون لكل نفوذ يضر باخلاقهم وبشخصياتهم ، فكان أن أقبل بعضهم على التقاط اعقاب السجاير وتدخينها ، لا نظن لعادة تمكنت منهم وانما للصغيرة والظهور والشيطنة ، ودخل بعضهم المؤسسة وهو على هذه الحالة ، قد يدخن أن وجد النقود التي يشترى بها الدخان ، وكانوا يدخنون بالطبع في خفاء من الرواد . بالطبع أخذوا يستنكفون من الاعقاب وجمعها وتدخينها لأن هذه لا يليق بكرامتهم ، وقد شعروا بكرامتهم الان ، ثم كانوا قد كونوا عادة الصراحة معنا ، إذا سئلوا اجابوا دون تردد .

وكان أن عير صبي صبيا بأنه يدخن اعقاب السجاير ، وكان الرائد واقفا معهما اثناء هذا الحديث فاغتاظ الصبي وقال معترضا أنه يدخن سجاير لها ثمنها وقيمتها وهذه هي السجاير حتى لا تعود تذكر الاعقاب ثم اخرج من جيبه بعض السجاير ، فقال له الرائد أن التدخين مضربه ، ولكن لعله أن الوعظ لا يفيد في مثل هذه الحالة تركه وشأنه ثم أخذ الموضوع لاجتماع الرواد لبحثه ، وبعد مناقشات قرروا عرضه على الصبيان في اجتماع عام ، وقد كان . فيه قرر الصبيان منع التدخين منعا باتا في داخل المؤسسة وفي خارجها ، ذلك لأن بعضهم طلب أن تترك لهم الحرية خارج المؤسسة . ثم وضع الصبيان العقوبات التي توقع على المخالف .

ثم مضي على هذا القرار مدة ، وكان أن اجتمعت احدى الجماعات التي تضمها المؤسسة مجتمعة يدير رئيسها الجلسة بالطريقة التي بينا في فصول هذا الكتاب ، والرائد جالس بينهم يساهم في التفكير والمناقشة ما رأى ضرورة

ذلك ، وبعد أن فرغ الرئيس من جدول الأعمال الذى كان أمام الجماعة فى ذلك اليوم قال .

الرئيس — أرجو من نائب الرئيس أن يتولى الجلسة لان هنالك نقطة مهمة أريد عرضها عليكم . ثم نزل عن كرسى الرئاسة .

نائب الرئيس — (يجلس فى كرسى الرئاسة) تفضل .

الرئيس — يا أخوانى لقد ارتكبت مخالفة البارحة وهى أنى دخنت خلسة وكسرت القانون الذى وضعتموه فارجو أن توقعوا على العقوبة المقررة ، لا بل أرجو أن تشددوا فى العقوبة حتى لا تقول الجماعات الاخرى أن جماعتنا تحابى ذوى السلطة فيها أو انها تتهاون فى شأنهم ، فكرامة جماعتنا تتطلب منكم أن تشددوا فى العقوبة .

وكانت المناقشة تدور بين الصبيان هو يدافع فيها عن تهمتهم ويطلب تشديد العقوبة ، وبعضهم يريد أن يخففها لأنه اعترف باخطائه ، ووعد أن لا يعود لمثل هذا العمل مرة ثانية .

وبعد المناقشة انتهى قرارهم على أن يضربوه على قدميه عشرة عصى ، فطرحوه على الارض وأمسك بعضهم بقدميه وانتدبوا شخصا ليضربه فضربه . ثم قام الصبى وهو يبكى والدموع تسيل من عينيه وذهب توا الى كرسى الرئاسة وجلس فيه . وقال انتهى الاجتماع .

— ٤ —

ذهب سعادة رئيس مجلس إدارة المؤسسة محمد طاهر باشا لزيارتها يوما من الأيام . وبعد أن تفقد سعادته محلات الأكل والمطبخ والمصنع وما أشبه ذهب الى حجرات النوم يتفقدها . وكان يقلب الفراش ليرى مقدار نظافتها

واعتناء الصبيان وإدارة المؤسسة بهما . وبينما سعادته في هذا إذ به يجد سيجارة في فراش أحدهم وتنبه الرائد الأول الى هذا .

ثم اجتمع الصبيان لمقابلة سعادته . فوقف الرائد الأول ليقدم سعادته لهم وقال :—

تشرفنا اليوم بزيارة رئيس لجنة المؤسسة سعادة طاهر باشا الذي يعمل بكل جهده على خدمتها ولقد سر مما رأى فيها . ولكني شعرت شخصياً بالحرج عندما وجد سعادته سيجارة في فراش أحدكم وأظن أن هذه الحادثة أعطته فكرة لا تحبها عنا . وعلى كل أشعر بصفتي الرائد الأول لهذه المؤسسة بخجل شديد مما عمله هذا الصبي .

وأطلب الى صاحب هذه السيجارة أن يقف

فوقف الصبي في الحال دون تردد أو محاولة تردد وبغض النظر عن الجو الذي كان يحيط بعمله . وقد كان واثقاً أن الصبيان لن يتركوها له . فسوف يعاقبونه على عمله هذا . فقال الرائد :—

أرجو أن تذهب الى الحجرة لترميها في المرحاض ثم تعود . فذهب وفعل . ثم استأنف الرائد قائلا : أرجو من الصبيان أن يسامحوه ولا يعاقبوه على هذه الغلطة وذلك اكراما لخاطر الزائرين . فقبل الصبيان وانتهت الحادثة .

— ٥ —

ابتدأ الغلاء في مصر يشتد والأمور تضيق بالناس في سنة ١٩٤٢ . في هذه السنة قلت المواد الغذائية أو اختزنها المضاربون وارتفعت تكاليف المعيشة أضعافاً وأصبح الغلاء فاحشا فرفض متعهد الأغذية للمؤسسة أن يبقى على الاتفاقات السابقة وطلب مايقرب من أربعة أضعاف الثمن الذي كانت

تدفعه المؤسسة قبل هـذا . فاجتمعت لجنة الادارة وغيرت نظـام الطعام ، ومنعت منه كثيراً مما يحب الأطفال . وأدخلت عليه بعض المواد الرخيصة القليلة الثمن . ومع كل هذا كانت تدفع فيه مائتين وخمسين فى المئة من الطعام السابق الذي كان يحبه الصبيان . واللجنة فى هـذا مضطرة بالطبع فشئون العـالم كله مقلوبة رأساً على عقب .

ولكن الصبيان صبيان لا يقدرون مثل هـذه الحالات كل التقدير وبخاصة لأن الرواد أغفلوا أن يضعوا الأمور أمامهم بالطريقـة المعهودة ظناً منهم أن كل الناس بما فيهم صبيان المؤسسة يعرفون الحـالة الدولية ثم كان لسوء الصدفة أن البوليس قد أحضر لنا طائفة من الصبيان الجدد لا يعرفون طريقتنا ولا يعرفون كيف يسير هذا المعهد ، وكان أن الصبيان القدماء أخـذوا يشكون من الأكل ويتذمرون لدرجـة انهم قامـوا بثورة صغيرة لطيفـة فى المؤسسة انضم اليها الصبيان الجـدد وبعض الصغار من القدماء وبعض الـكبار الذين يغرمون بالمجازفة والتفكه بهـا لخروجها عن المألوف .

وكان أن رجم الصبيان زجاج بعض النوافذ بالحجـارة فتحطم وخلـع بعضهم حنفيات الماء . وهتفوا ما وسعتهم حناجرهم ، وأعجبتهم مثل هذه الحالة فاحتجوا على رداءة الطعام وكان يظهر عليهم انهم مسرورون لهـذه الظاهرة .

وكان بعض الرواد واقفين يشهدون هذا . وقد كان فى استطاعتهم أن يسكتوا الصبيان ويخيفوهم فى أى وقت ومتى شاءوا ولكنهم أمسكوا عن هذا وتركوهم يفعلون ما يشاءون إلى أن أسكت بعضهم بعضاً وعادوا إلى هدوئهم ورجع كل شىء إلى ما كان عليه .

ثم اجتمع الرواد وبحثوا الموضوع من كل وجوهه وأحضروا معهداً

للزجاج لتقدير تكاليف إصلاحه وسمكريا لتقدير إصلاح مواسير المياه فكان التقدير كله مائة وستين قرشاً . ثم استقر رأيهم على معالجة الموضوع .

واجتمع الصبيان فى اجتماع عام وقف فيه الرائد الأول وقال :

حدث من يومين اضطراب وتكسير للنوافذ وغيرها وصياح وصراخ لاأدري سببهما للآن ، وعلى كل حال لاشأن لنا بصياحكم وصراخكم ، ولا مانع عندنا فى أن تحطموا الشبابيك وماتشاؤون من الأثاث . ولا مانع عندنا أن تثوروا كل يوم ومرتين فى كل يوم ، والآن لنبحث فى هدوء كعادتنا ماذا تريدوننا على أن نصنع بالنوافذ والمواسير المحطمة . كيف نصلحها ونرجعها الى ماكانت عليه حتى تستطيعوا استعمال هذه للوقاية من البرد . وتلك للشرب والاستحمام وما أشبه ، فاذا كنتم ترغبون ، فأنا مستعد لأن أذهب لمجلس ادارة المؤسسة وأقول لهم لقد شاء صبيان المؤسسة أن يحطموا النوافذ والمواسير ويتكلف إصلاح هذه وتلك مائة وستين قرشاً ، ويرجو الصبيان أن يدفعوا هذا المبلغ حتى نصلح مافسد ، هذا هو الحل الوحيد أمام الرواد لايرون حلا يستطيعونه سواه ، فما رأيكم ، وهل لديكم حل لهذا الاشكال ، قال هذا وجلس وترك الصبيان يتناقشون .

ثم نهض رئيس الصبيان بادارة الاجتماع ، وكان أن تناقشوا أولا فى الطريقة التي اتبعت فى التعبير عما يشعرون به ، وكان أن أخذ بعضهم يلوم بعضهم على هذا التصرف دون أن يذكروا أسماء المحرضين أو يتعرضوا لهم بخير أو بشر فى هذا الاجتماع ، ثم كان أن طلبوا الى الجماعات أن تبحث هذه المسألة وتكشف المسببين لهذه الحالة وتعاقبهم على اختيار مثل هذه الطريقة فى التعبير عن شكواهم .

ثم عرجوا على البحث فى إصلاح مافسد ، كيف يصلح ومن يدفع

تكاليف الاصلاح الى آخره ، فقرروا بعد مداولات ومناقشات واشد ورد أن يدفع الصبيان كجماعة ثمن الاصلاحات ، يخص كل صبي منهم قرشاً ونصف تقريباً . فعلى كل عضو فى المؤسسة أن يقابل رئيسها ويتفق على طريقة لدفع المبلغ . وهنا قامت صعوبة وهى أن بالمعهد ما يقرب من الثلاثين صبياً صغيراً لم يبلغوا السن التى تبيح أن يشتغلوا فى المصانع ويتكسبوا ، فكان السؤال الذي بحثوه : ما العمل مع هؤلاء ؟ فتقرر بعد المناقشة أيضاً أنه بما أن هؤلاء يجب أن يتضامنوا مع الجماعة كلها وقد ساهم بعضهم فى التخريب أيضاً لذلك يجب أن يستقطع من كل صبي صغير ثلاثة أرغفة مما يصرف له لأكله ، ويعادل ثمن هذه المبلغ المطلوب من كل منهم .

هنا وقف الرائد الأول وقال .

نظن أن هذا الحل هو أقرب الأشياء الى المعقول ، نحن موافقون عليه بشرط واحد وهو أن استقطاع الخبز عن الصغار يكون بالاتفاق بين الرائد والفرد لكل حالة من الحالات ، ويجب أن يخضع لقواعد لاتضر بالصحة ، ونظن أن هذه القواعد تكون كما يأتى : لايستقطع من أى صبي أكثر من نصف رغيف فى المرة الواحدة . ويجب أن لايزيد ما يستقطع منه عن رغيف واحد فى الأسبوع على دفعتين بعيدتين بينهما أيام . وهنا وقف صبي وقال نريد أن نتكلم فى رداءة الطعام فى الوقت الحاضر ، فقال الرئيس نعين يوماً خاصاً للمناقشة فى هذا الموضوع ، أما الآن فقد انتهى الاجتماع .

وفى اليوم المعين اجتمعنا مرة أخرى لنتناقش فى رداءة الطعام ، والواقع أن الطعام لم يكن رديئاً بل حسناً ومغذياً وقد وضع قائمته وكمياته وأنواعه الدكتور على بك حسن استاذ التغذية بكلية الطب ، وإنما ما كرهه الصبيان فى التغير هو الاقلال من اللحمة والحلوى والاستعاضة عنها بأشياء أقل تكاليف منهما وإن كانت تقوم مقامهما فى التغذية .

اجتمعنا وأذن الرئيس بالكلام للصبيان واحداً واحداً فأخذوا يقولون ويعيدون في أن الطعام بالمؤسسة أصبح رديئا ، ذهبت عنه الألوان التي كانوا يحبونها ، فلماذا هذا ؟ ولماذا التوفير من هذا الباب ؟ ولماذا تريدون أن تقتصدوا ؟ إلى آخر هذه الأسئلة التي كنا قد أغفلنا الاجابة عنها قبل حدوث التغيير . فلو كنا قد تفاوضنا معهم قبل التغيير لما حدث شيء مما حدث .

وقف الرائد الاول وقال : كان نوع الطعام السابق الذي كنتم راضين عنه يكلف المؤسسة قرشين عن كل صبي ، فلما اشتد الغلاء رفض المتعهد أن يقدمه بهذا الثمن وطلب فيه ما يقرب من العشرة قروش وهذا مبلغ لا نشعر أننا نستطيع أن ندفعه ثمناً للغذاء ، فطلبنا إلى الطبيب ان يضع قائمة اخرى وهي ما نستعمله الآن في المؤسسة وهذه تدفع قيمتها إدارة المؤسسة خمسة قروش عن كل صبي في اليوم كنا ندفع فيما تحبونه قرشين فأصبحنا ندفع فيما تكرهون خمسة قروش . والأمر لكم الآن قرروا ما تشاءون ، فاذا قررتم ان نرجع للقائمة القديمة وندفع العشرة قروش عن كل صبي ، آخذ هذا لمجلس الادارة وأعرض رغباتكم عليهم ، فاذا كنا نحن الصبيان والموظفين نستطيع تدبير الفرق في الثمن دون ان نلجأ إلى اللجنة نعود إلى ما كنا فيه قبل هذا التغير .

فتناقشوا في الموضوع طويلا وتكلم منهم كثيرون ، ويذكر الكاتب صبياً واحداً منهم لأنه تحدث بعقل ومنطق أعجبنا به ، قال الصبي :

يا إخوان هذا الأكل الذي نأكله مفيد وكاف ، نحن نشبع منه والدكتور يقول إنه مغذ ، حقاً إن القائمة السابقة عليه ألذ طعما وأشهى مأكلا ولكن لا تنسوا يا إخوان إننا في حرب والناس يموتون بالآلاف ، والطعام قليل في البلد ، ونعرف ناساً لا يجدون الخبز ويبيتون على الطوي ..

رأظن أنه يليق بنا عوضاً عن الشكوى والتذمر أن نحمد الله على ما عطانا في هذه الظروف العصيبة .

وهكذا إلى آخر هذا الكلام المعقول ، وبالاختصار قرر الصبيان بالاجماع أنهم راضون بما أعطاهم الله .

ثم دفع الصبيان ثمن الزجاج والمواسير المحطمة بتمامه ، وقد استغرق تصفية هذا الحساب بضعة أسابيع .

obeikandl.com